مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189

مجلد: 15 عدد 01 ، جوان 2024
العنوان: **بنية المجتمع البدوي وعلاقته بالتغيرات لاالديمغرافية (حالة ولاية البيض)**
ص.ص40-64.

بنية المجتمع البدوي وعلاقته بالتغيرات الديمغرافية (حالة ولاية البيض)

عبد الغني بوطيبة

جامعة تيارت، boutaibaabdelghani@gmail.com.

تاريخ الإرسال: 2023/02/12 ؛ تاريخ القبول: 31/ 01/ 2024

The structure of Badouin society and its relationship with demographic variables (a case study of El bayadh province)

Abstract: This paper aims to shed light on Bedouin community in Elbayadh which constitutes 13% of total population in 2020. The investigation of its manifestations and practices through analyzing the evolution of its population structure will enable offering an insight on the main changes that characterized it. Besides, the study will focus on key-practices of rural society such as shepherding and traveling based on statistical data. Furthermore, the paper tends to display present and past relationships between Bedouin and urban communities, in addition to the interaction between them. Finally, the paper tends to investigate change manifestations in Bedouin community and the level of such change inside Bedouin social structure as a whole.

Keywords: Bedouin community; demographic change; shepherding; traveling; Elbayadh.

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: 15 عدد 01 ، جوان 2024
العنوان: **بنية المجتمع البدوي وعلاقته بالتغيرات لاالديمغرافية (حالة ولاية البيض)**
ص.ص40-64.

الملخص:

ترمي الدراسة الى الوقوف على واقع المجتمع البدوي لولاية البيض (باعتباره يمثل نسبة هامة من اجمالي سكان الولاية حيث قدرت نسبته سنة 2020 بـ 13%) من خلال إبراز أهم التغيرات التي لحقت به، بالبحث في أهم مظاهره وممارساته وهذا بتحليل تطور تركيبته السكانية، وكذا أهم ممارساته الاجتماعية من رعي وترحال والتي تمثل ركائز الاقتصاد البدوي، اعتماداً على مؤشرات احصائية ميدانية. بالإضافة لتبيان العلاقات البدوية الحضرية الراهنة والتاريخية ومدى التفاعل الحاصل بين المجتمعين ثم التعرف على الآفاق المستقبلية للمجتمع البدوي.

وبذلك، تتمثل مشكلة هذه الدراسة في محاولة التعرف على مظاهر التغير في المجتمع البدوي محل الدراسة، وكذلك معرفة مستوى هذا التغير الحاصل في بنية المجتمع البدوي وكذا انساقه.

الكلمات المفتاحية: المجتمع البدوي؛ التغير الديموغرافي؛ الرعي؛ الترحال؛ البيض.

مقدمة:

عرفت الجزائر الظاهرة البدوية كمثيلاتها من الدول العربية، وقد ساهم في ذلك شساعة وامتداد نطاقها الصحراوي، والذي يتلائم وطبيعة النمط المعيشي البدوي بالإضافة إلى توفرها على المجال السهبي الذي يمثل مجالاً رعوياً يتماشى مع متطلبات النشاط البدوي، الأمر الذي أدى إلى تنوع الظاهرة البدوية حيث نجد البداوة الرطبة في المناطق التلية والجزء الرطب من الهضاب العليا، ثم بداوة جافة في المناطق الجافة من الهضاب العليا، أما البداوة القاحلة فتوجد بالمناطق القاحلة الجنوبية.

تنتمي ولاية البيض -محل الدراسة-إلى المجال السهبي الذي يمثل أحد أهم المجالات البدوية، حيث يضم شريحة شاسعة من

المجتمعات البدوية، هذه الأخيرة التي تعرضت لعدة تغيرات على فترات متعاقبة عقدت نظامه الاقتصادي الذي يمثل الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع البدوي، حيث انعكس ذلك على طبيعة الممارسات الاجتماعية التي يمثل الرعي والترحال أهم محاورها، جعلت المجتمع البدوي في حالة تراجع مستمر بتأثير العامل الايكولوجي.

الإشكالية:

ليس المجتمع البدوي بمعزل عن المجتمع الذي ينتمي إليه، فقد امتدت إليه التغيرات التي طرأت على هذا الأخير على مستويات مختلفة اجتماعية وسياسية واقتصادية، حيث عَرف المجتمع البدوي تغيرات متلاحقة ومتباينة التأثير امتدت من فترة الفتوحات الإسلامية والتواجد التركي مروراً بالحقبة الاستعمارية إلى مرحلة الاستقلال.

ورغم ثبات هذا المجتمع واستمراريته أمام مختلف التأثيرات التي تعرض لها خلال هذه الفترات إلاَّ أنَّه بدت منذ عهد قريب ملامح التغيير العميق التي كانت نتيجة تعقد نظامه الاقتصادي الذي أفرزته الظروف الأيكولوجية، وازدياد الاتجاه نحو الاستقرار.

وعليه تسعى الورقة البحثية إلى دراسة جملة من التساؤلات التي تشكل مجتمعة إشكالية هذه الدراسة وفق التفرع التالي:

ما مظاهر التغير الذي لحق بالمجتمع البدوي؟

ما واقع البنية السوسيواقتصادية، والسكانية للمجتمع البدوي؟

ما انعكاسات التغير على ممارساته الاجتماعية؟

الفرضيات:

لحق تغير بالبنية الاقتصادية (كمظهر مادي) للمجتمع البدوي والذي أثر بدوره على باقي النظم الاجتماعية الاخرى (كمظهر فكري).

انعكست التغيرات سلبا على الممارسات الاجتماعية للمجتمع البدوي.

أهداف الدراسة:

حاولت هذه الدراسة تحقيق الاهداف الآتية:

التعرف على واقع الحياة البدوية من خلال الوقوف على أهم الممارسات الاجتماعية التي يشكل الرعي والترحال أهم محاورها.

الكشف عن مظاهر التغير في البناء الاجتماعي البدوي لبلدية البيض.

فهم ومحاولة تفسير أهم عوامل التغير لدى المجتمع البدوي.

مفاهيم الدراسة:

المجتمع البدوي:

يحدد مصطفى الفوال (1967) المجتمع البدوي بذلك المجتمع الذي يضم تلك المجتمعات البدائية المحلية التي تحيا في العصر الحاضر حياة تقليدية تتميز بالبساطة وعدم التعقيد، فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية وتعدد وظائفها، وتمثل حياة حضرية أقل تقدما لو قورنت بحالات حضارية أخرى متقدمة سواء كانت سالفة أو معاصرة، هذا فضلا عن أن البداوة بصورها المتعددة وبمحتواها المادي والبشري تعتبر حجز الزاوية بالنسبة لتلك المجتمعات.

التغير الديمغرافي:

يعرف الباحث حسين نعسو(2010) التغير الديمغرافي " بذاك التحول الذي يطرأ على البنيان والقوام السكاني لرقعة جغرافية، ناجماً عن فعل او أفعال ارادية من قبل جهة ما تجاه أفراد أو مجموعات تفقد ارادتها في ذلك التحول."

فمفهوم التغيير الديمغرافيا إلى التحولات والتغيرات التي تحدث في تركيبة سكانية معينة على مر الزمن. يمكن أن تشمل هذه التغيرات التركيبة العمرية للسكان، معدل النمو السكاني، التوزيع العمري، التوزيع الجغرافي، العوامل الاجتماعية والاقتصادية.

الخلفية التاريخية للمجتمع البدوي في الجزائر:

أدت السياسات الاستعمارية الجائرة إلى إلحاق تغيرات عميقة في بنية المجتمع البدوي، حيث أصبحوا خاضعين لقوانين الإدارة الفرنسية، بهدف تحديد مناطق العبور والرعي، فرضت من خلالها تقييد لتنقلاتهم وكذا الاستيلاء على أراضيهم، قصد الحلول مكانهم (Boukhobza Mohamed, 1982 :17) .

عرفت منطقة البيض خلال هذه الفترة قمع السكان البدو وإجبارهم على النزوح نحو المدن نتيجة استهداف السياسة الاستعمارية المقاومات الشعبية والثورات التي قادها البدو، موازاةً مع هذه المرحلة، تم تشكل حي القرابة ثم حي سيد الحاج بحوص نتيجة النزوح الريفي الذي شهدته المنطقة خلال الفترة 1920-1945 نتيجة الظروف القاصية التي مر بها السكان (تلي خديجة، 17:2006).

كما شهدت الفترة 1852-1954 نزوح البدو نحو المدن نتيجة استهداف السياسة الاستعمارية المقاومات الشعبية والثورات التي قادها البدو الرحل، بالإضافة إلى السياسة الرامية لكولنة المدن باعتبارها مناطق عسكرية. (طلحة بشير،2006: 70).

تطور البدو منذ الاستقلال:

عرفت المرحلة ما بعد الاستقلال، وخاصة في الستينيات والسبعينيات، عودة العديد من أحفاد أولئك الذين غادروا المغرب إلى الأراضي الجزائرية، حيث استقر البعض في المراكز المكتظة. ثم خضعت البدو لتطورات مختلفة بسبب سياسات الدولة الزراعية والرعوية والتغيرات في أنماط الحياة، لم تبدأ المرحلة الثالثة من الإصلاح الزراعي التي ركزت على الرعي حتى عام 1975. وكان هدفها تطوير وتحديث الممارسات الرعوية، لا سيما في السهوب، من خلال محاربة نظام الاستغلال الذي أفاد كبار المربين وتفضيل صغار

المربين الذين يعيشون مباشرة من عملهم، خلال هذا الإصلاح الزراعي، بالإضافة إلى المساعدة المباشرة المقدمة للرعاة على شكل مبالغ مالية وماشية، تم إنشاء قرى رعوية (Ben Hounet Yazid, 2009 :115).

تطلب توطين البدو ضرورة توفير لكل قرية رعوية بعض المرافق الضرورية كالمدرسة لأبناء البدو، ومركز ثقافي ومرافق للرعاة، وتحديداً الآبار والمزارع الجماعية لتربية الماشية ورعايتها، وأيضا ضرورة تحديث الممارسات التي تعتبر قديمة، لم يتحقق هذا الهدف أبدًا وأصبحت القرى الرعوية أنواعًا من المساكن الثانوية والسقائف لأشباه الرحل. علاوة على ذلك، لم تبدأ هذه السياسة إلا في نهاية السبعينيات واستمرت لفترة قصيرة فقط، أي حتى منتصف الثمانينيات. وقد ساعد هذا الأثر تنمية الاقتصاد الرعوي الرأسمالي لكبار ملاك الأراضي. لم يتم إعادة إطلاق هذا الإصلاح الزراعي وفشل سياسة إعادة التشجير التي تهدف إلى مكافحة التصحر، اختارت الحكومة سياسة تنمية المزارع الصغيرة من أجل توطين السكان الرحل، حيث تم في عام 1984، تطوير برنامج ملكية الأراضي الزراعية (APFA) لدعم الملكية الزراعية الخاصة (Ben Hounet Yazid, 2009 :115) .

لم يأت تطوير برنامج ملكية الأراضي الزراعية (APFA) على حساب الرعي. على العكس من ذلك، فإن العديد من الرعاة الذين حصلوا على الأرض بموجب هذا الإطار طوروا في الوقت نفسه أنشطة زراعية ورعوية، مما جعلت الحياة الاقتصادية للمربين واستقلالهم الغذائي أسهل. كما كانت تقع تلك الأراضي عموما قرب منطقة الترحال لمواشيهم.

في نهاية سبعينيات القرن الماضي، أدى الإدخال المكثف لوسائل النقل الآلية، ولا سيما الشاحنات، إلى تحول كبير في الممارسات

الرعوية بقدر ما أعطت هذه المركبات للرعاة حرية أكبر في الحركة. حيث أصبح من الممكن لأشباه الرحل نقل مواشيهم إلى الأسواق المحلية في غضون ساعات قليلة بدلاً من عدة أيام؛ كما مكنهم ذلك أيضًا قطع المسافة من المزرعة إلى المكان الذي كانت ترعى فيه الماشية في بضع دقائق، أو حتى جلب المياه من الآبار في وقت قصير. من شأن وسائل النقل هذه أن تمنح الممارسات الرعوية مرونة أكبر، أثناء تنشيط الممارسات الرعوية، قللوا من التحركات الجماعية للبدو التي تمليها الحاجة إلى الذهاب إلى الأسواق لبيع الماشية وشراء المواد الغذائية الأساسية للحياة في الخيام. مع انتهاء إنشاء برنامج ملكية الأراضي الزراعية (APFA)، الذي يضاف إليه ظهور وسائل نقل جديدة، بانتهاء الحركات الجماعية للعشابة (الحركة الصيفية الجنوبية-الشمالية) والعزابة (الحركة الشتوية بين الشمال والجنوب) - حتى عام 1986، التي كانت تتم تحت إشراف الدولة، بعد ذلك، أصبحت ممارسات فردية، لا سيما في سياق العقود الخاصة بين عائلات شبه البدو وملاك الأراضي(Yazid Ben Hounet, 2009, p.116) .

الجانب الميداني:

حدود الدراسة:

المجال الجغرافي: أجريت الدراسة ببلدية البيض، ولاية البيض.
المجال البشري: أجريت الدراسة على السكان البدو لبلدية البيض.
المجال الزماني: أجريت الدراسة في الفترة الزمنية الواقعة بين 2010/2/15 إلى 2022/02/01.

حجم العينة: نظراً لعدم إمكانية القيام بدراسة ذات مسح شامل لكل المجتمع البدوي، والذي يبلغ تعداد سكانه 464 نسمة، بالإضافة لطبيعة هذا المجتمع الذي يتوزع على كل تراب البلدية بصفة غير منظمة، التجأنا إلى طريقة العينة القصدية، حيث تم اختيار عينة ضمت 60 مفردة.

منهج وأدوات جمع البيانات:

يتوقف اختيار المنهج المتبع في البحث على طبيعة الموضوع المراد بحثه، حيث أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج الملائم، وعليه فإنه تم اعتماد المنهج الأنثروبولوجي الاجتماعي الذي يختص بدراسة المجتمعات التقليدية والذي ينتمي إليه موضوع بحثنا وهو المجتمع البدوي، بالإضافة للمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الواقع الاجتماعي لهذا المجتمع.

أما أدوات جمع البيانات فقد قمنا بالاعتماد على استمارة المقابلة نظراً لطبيعة المجتمع المراد دراسته الذي يتميز بنسبة مرتفعة من الأمية من جهة، ومن جهة أخرى لأهمية هذه الأداة في إفساح المجال أمام المبحوث للإدلاء بجميع المواضيع والأفكار التي تُمَكن الباحث في توسيع نطاق البحث وحصر مختف أبعاده، بالإضافة للملاحظة كأداة بحثية ثانوية تكميلية كون الباحث ابن المنطقة يعايش الظاهرة، وكذلك أثناء إجراء البحث الميداني.

اشتملت استمارة المقابلة على أربعة جوانب اختص الأول منها على البيانات الشخصية ثم منطقة الإقامة وانتماء العرش والجانب الثاني تضمن النظام الاقتصادي البدوي، أما الثالث فتضمن ظاهرة الترحال، وآخر جانب فخصص للعلاقات البدوية الحضرية.

خصائص العينة:

تضمنت العينة المأخوذة 60 فردا مثلت نسبة 13% تقريبا من المجتمع الكلي الذي يضم 464 فرد، حيث حققت شرط تمثيل المجتمع الكلي، وقد تم أخذ كل المفردات من جنس الذكور وهذا لطبيعة الأسئلة المطروحة خلال المقابلة والتي ترتبط بالنشاط الذكوري وكذا آراء ومواقف تجاه الاستقرار الذي هو من اختصاص الرجال.

جدول رقم (01): توزيع المبحوثين حسب عرش الانتماء ومنطقة الإقامة الأصلية

العرش / المنطقة		أولاد زياد	أولاد عمران	القراريج	المجموع
البيض	العدد	/	27	16	43
	%	/	45	26.66	71.66
منطقة أخرى	العدد	17	/	/	17
	%	28.33	/	/	28.33
المجموع	العدد	17	27	16	60
	%	28.33	45	26.66	99.99

المصدر: الدراسة الميدانية

نتائج الدراسة ومناقشتها:

دراسة السكان:

تعد العوامل الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية من أهم العوامل المؤثرة في النمو السكاني، وفي كل عناصره الثلاث: الولادات، والوفيات، والهجرة، وبالتالي تتحدد التغيرات التي تلحق بالسكان نحو الزيادة أو الركود أو النقصان وفقا لتلك العوامل التي تؤثر بصفة مستمرة تجعل التركيبة السكانية للمجتمع في حالة من التغير المستمر.

وكون المجتمع المدروس، المجتمع البدوي، ينتمي إلى منطقة سهبية، فقد عرفت هذه المنطقة عدة تحولات وتغيرات عبر فترات متعاقبة انعكست على حركة السكان، يمكن تتبعه من خلال إحصائيات

سكانية لعشريات متعاقبة (66-77-87-98-2008). ثم 2010 الى نهاية 2020.

تطور سكان البدو في ولاية البيض:

جدول رقم(02): تطور سكان البدو في ولاية البيض

البلديــة/ السنة	1966	1977	1987	1998	2008	2010	2020
البيــض	14102	6311	1359	398	421	464	645
بوعــلام	343	6632	1871	1850	1152	1221	1481
سيدي عمـر	/	/	1654	785	893	918	960
سيدي طيفور	/	/	2238	2498	1283	1322	1372
سيدي سليمان	/	/	/	121	21	21	22
ستيتــن	/	/	1036	405	172	173	180
بريزينــة	1272	7069	4685	2671	4290	4508	5302
غاســـول	/	/	1747	2389	452	458	492
كراكـــدة	/	/	1160	1404	449	458	488
بوقطـــب	1206	10003	2817	3717	1920	2077	2789
الخيـــثر	/	/	730	2837	815	821	831
تيسموليــن	/	/	2509	4063	1697	1750	1813
روقاصـــة	/	8747	3964	4312	1472	1513	1789
كـاف لحمر	/	/	4420	3136	1688	1697	1879
الشقيــق	/	/	3700	4436	265	272	284
الأبيض	3606	8585	1687	7206	2474	2696	3703
البنـــود	/	/	1300	3111	2441	2554	2883
عين العـراك	/	/	945	632	328	338	365
أربـــــوات	/	2292	1877	1518	768	778	805
الشلالـــــة	/	/	301	1383	1047	1097	1305
المحـــــرة	/	/	3862	9469	8936	9150	9537
بوسمغـــون	457	1259	920	866	0	0	/
الولايـــــة	20986	50898	44782	59007	32979	34287	38925

المصدر: اعداد الباحث اعتمادا على معطيات مديرية التخطيط البيض(66-2010). مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية (2020).

يعرض الجدول تطور سكان البدو خلال التعدادات السكانية ابتداءً من سنة 1966 إلى غاية آخر تعداد سنة 2008 بالإضافة لسنة 2010 ثم 2020، حيث بلغ عددهم غداة الاستقلال 20986 نسمة ثم ارتفع ليصل إلى 50898 نسمة سنة 1977 محققا بذلك زيادة قدرها 29912 نسمة بنسبة زيادة 142% خلال عشر سنوات، ويمكن تفسير هذه الزيادة بالتحسن الذي حدث نتيجة إصلاحات الثورة الزراعية، حيث تم إنشاء القرى الرعوية واستصلاح المراعي كما استهدفت الإصلاحات عملية التوزيع العادلة للماشية التي استفاد منها البدوي (مفتاح نادية،2001: 69).

أما الفترة 1977-1987 فقد شهدت تراجعا بنسبة 12% حيث تراجع تعداد البدو سنة 1987 إلى 44782 نسمة، وقد سجل هذا التراجع على المستوى الوطني بالنسبة للفترة 1977_1987، حيث انتقل عدد البدو عامة من 418330 نسمة سنة 1977 إلى 280551 نسمة سنة 1987، ويعزى هذا التراجع إلى استقرار كثير من الأسر نتيجة ظاهرة تجمع السكان وظهور التجمعات السكانية نهاية السبعينات الثورة الزراعية، بالإضافة إلى تأثير الجفاف الذي عرفته البلاد بداية الثمانينات، مع تأثير التنمية وتحسين أوضاع الريف الذي استقطب السكان البدويين. كما أثر التدفق الديموغرافي للسكان الرحل على سكان الحضر، حيث انتقل جزء كبير من الشباب إلى المدن بينما استمر باقي أفراد الأسرة في العيش في الخيام.(Ben Hounet Yazid, 2009 :107-122)

أما سنة 1998 فقد عرفت ارتفاعا ملحوظا بلغ 59007 نسمة ويعود ذلك إلى ترك كثير من البدويين القرى الاشتراكية لعدم نجاحها والعودة إلى مناطقهم الأصلية أواخر الثمانينات، بالإضافة لتأثير العامل الأمني خلال فترة التسعينيات، حيث وفد كثير من البدو إلى تراب الولاية

بعدما ألزمهم الاضطراب الأمني ترك مناطقهم. فيما عاد تعداد البدو في التراجع سنة 2008 حتى بلغ 32979 نسمة وهذا راجع لاستقرار الأسر البدوية التي ألزمتها ظروفها الاقتصادية التي تأثرت بالجفاف لسنوات متتالية لترك البادية، كما أدى تحسن الظروف الأمنية لعودة بعض الأسر التي إلى مناطقهم الأصلية . أما سنة 2010 فقد بلغ تعداد البدو34287 نسمة. أما سنة 2020 فقد قدر تعدادهم بـ 38925 نسمة.

شكل رقم(01): تطور سكان البدو لولاية البيض

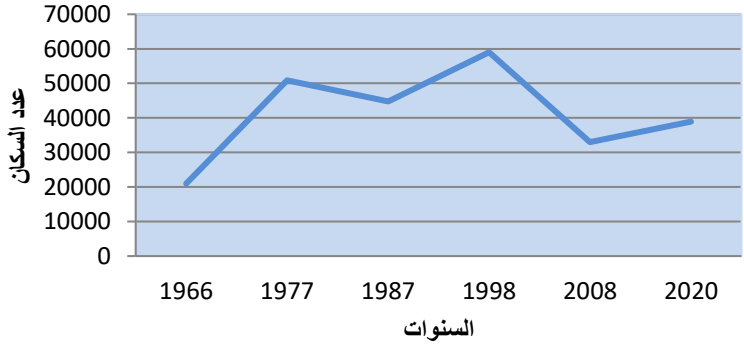

المصدر: اعداد الباحث اعتمادا على معطيات مديرية التخطيط البيض(66-2010). مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية (2020).

التوزيع الفيزيائي للبدو:

يتوزع البدو على المجلات الجغرافية الثلاث للولاية، منطقة الهضاب العليا السهبية التي تمثل 12,24% من المساحة الإجمالية للولاية، منطقة الأطلس الصحراوي حيث تمثل 16,52%، المنطقة شبه صحراوية حيث تمثل 71,23% من المساحة الإجمالية (D.P.A.T,2009:08).

جدول رقم(03): توزيع السكان البدو على المجال الجغرافي للولاية

المجال الجغرافي	نسبة المساحة	عدد البدو	نسبة البدو
منطقة الأطلس الصحراوي	16,52	16553	48.27
منطقة شبه الصحراوي	71,23	9572	27.91
منطقة الهضاب العليا السهبية	12,24	8162	23.8
المجموع	100	34287	100

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على معطيات ومؤشرات حسب البلديات 2010، مديرية التخطيط بالبيض2010.

يبين الجدول رقم (03) توزيع البدو على المجالات الثلاث للولاية، حيث يرتكز 16553 من البدو في منطقة الأطلس الصحراوي يتوزعون على 13 بلدية تشمل مساحة 1.184.590 هكتار، حيث تمثل 16,52 % من المساحة الإجمالية، ويمثل بدو منطقة الأطلس الصحراوي نسبة 48.27 % من إجمالي سكان بدو الولاية، تليها المنطقة شبه الصحراوية التي تضم ثلاث بلديات فقط هي الأبيض س/ش، البنود وبريزينة، تتربع على مساحة 5.107.270 هكتار، حيث تمثل 71,23% من المساحة الإجمالية، يتوزع 9572 من السكان البدو على هذا المجال الشبه صحراوي يمثلون نسبة 27.91%. أما منطقة الهضاب العليا السهبية فهي أصغر المناطق بمساحة 877.810 هكتار تمثل فقط 12,24% من المساحة الإجمالية للولاية و تضم 8162 من السكان البدو يتوزعون على ستة بلديات يمثلون نسبة 23.8%.

يلاحظ على هذا التوزيع تركز السكان البدو في منطقة الأطلس الصحراوي، وتقارب نسبتهم في منطقة الهضاب العليا ومنطقة الشبه الصحراوية، هذا التوزيع الجغرافي للبدو بالإضافة لكونه مرتبط بالوسط الفيزيائي، هو أيضا نتيجة لماضي تاريخي للبلاد وكنتيجة للتنظيم الإجتماعي لسكانه (sagne jean,1950 :64) .

تطور السكان البدو لبلدية البيض :

جدول رقم (04): تطور السكان البدو لبلدية البيض

السنة	1966	1977	1987	1998	2008	2010	2020
سكان البدو	14102	6311	1359	398	421	464	645
النسبة من اجمالي سكان البلدية	47.87	14.90	03.02	0.61	0.45	0.46	0.46
عدد الخيم	1763	789	170	50	/	/	/

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على معطيات ومؤشرات حسب البلديات 2009، مديرية التخطيط لولاية البيض.

شكل رقم(02): نمو سكان البدو لبلدية البيض

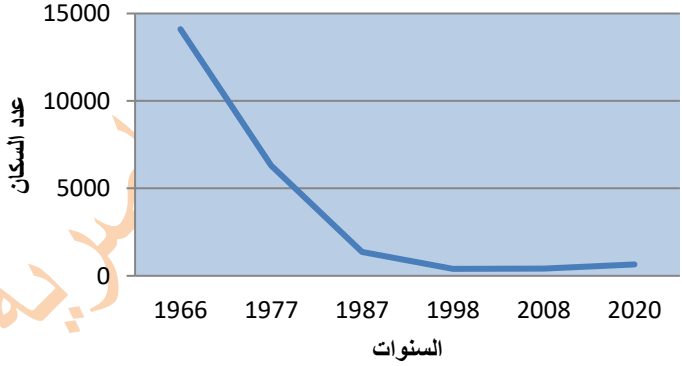

المصدر: اعداد الباحث اعتمادا على معطيات مديرية التخطيط البيض(66-2010). مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية (2020).

من خلال الجدول رقم (04) والمنحنى البياني رقم (02) يتبين الاتجاه العام لحركة السكان، خلال التعدادات الخمس للسكان، الذي يشير إلى التناقص المستمر لعدد سكان البدو على مستوى بلدية البيض،

انطلاقا من سنة 1966 حيث بلغ تعدادهم 14102 نسمة ما يعادل نسبة 47.87% من إجمالي سكان البلدية، ثم انخفض إلى أكثر من النصف سنة 1977 ليبلغ 6311 سنة بنسبة 14.90% من إجمالي سكان البلدية، والملاحظ على الفترة 1966-1977 ظهور عدد معتبر من التجمعات الثانوية التي ساهمت في استقرار البدو كعوامل جاذبة (Hadeid Mohamed, 2002 :158). بالإضافة لعوامل الطرد المتمثلة في الجفاف والتصحر خلال فترة السبعينات (تللوغياث، 2002: 92).

تواصل هذا الانخفاض وبأكثر حدة ليسجل تعدادهم 1359 نسمة بنسبة 03.02% سنة1987، وترجع أسباب هذا التراجع الكبير خلال الفترة 1977-1987 إلى الترقية الإدارية حيث ارتقت مدينة البيض إلى مقر ولاية بموجب التقسيم الإداري لسنة 1984، بالإضافة إلى ارتقاء بعض التجمعات السكنية إلى مركز بلدية أو دائرة، الأمر الذي جعلها تستقطب السكان البدو(Hadeid Mohamed ,2002 :158).

استمر التراجع في تعداد سكان البدو سنة 1998 فوصل إلى 398 نسمة بنسبة 0.61% من إجمالي سكان البلدية، أما الفترة ما بين 1998إلى 2008 فقد حقق عدد السكان البدو استقرارا معتبرا بزيادة طفيفة قدرت بـ23 نسمة حيث بلغ تعدادهم 421 نسمة سنة 2008 مثلت نسبة 0.45% من إجمالي سكان البلدية، ويرد مصدر هذه الزيادة إلى عامل الهجرة حيث تم انتقال بعض الأسر إلى تراب البلدية والاقتراب من محيط المدينة وهذا للاستفادة من خدماتها.

أما الفترة الممتدة من سنة 2010 الى 2020، فقد شهدت استقرار نسبي، حيث بقيت النسبة 0.46% ممثلة لعدد سكان البدو من اجمالي سكان البلدية، حيث بلغ تعداد السكان البدو 464 نسمة سنة 2010 و 645 نسمة سنة 2020.

عموماً يمكن حصر أهم العوامل التي وقفت وراء الانخفاض المستمر والمتزايد في تعداد السكان البدو، والذي يعتبر الظرف الايكولوجي أهمها والمتمثل في تأثير الجفاف الذي تعرض له المجتمع البدوي خلال فترات زمنية متعاقبة حيث أدى إلى تراجع النشاط الرعوي الذي يعتبر ركيزة الاقتصاد البدوي بالإضافة إلى صعوبة التموين بالأعلاف (التيجاني بشير، 41:2000)، حيث ألزم البدو إمَّا على تغير المنطقة والتوجه إلى مناطق أخرى ملائمة أو ترك البادية بصفة نهائية والتوجه للاستقرار بالمدينة أو القرى القريبة من مناطق إقامتهم. كما تبين عدم التوازن الديموغرافي بين البدو والحضر وهذا ناتج عن حركة السكان خلال فترات زمنية متعاقبة بتأثير عامل الهجرة التي تتم من المناطق البدوية ذات الكثافة الضعيفة إلى مناطق حضرية أكثر كثافة (Barth f,1960 :371) .

واقع وآفاق الحياة البدوية في البيض:

أفضت الدراسة السكانية إلى تأكيد التناقص المتوالي في تعداد البدو، والذي يعتبر أهم مؤشر للتغيرات التي تعرض لها هذا المجتمع، والذي حدث نتيجة لتغيرات لحقت ببنائه الاجتماعي وخاصة نظامه الاقتصادي على فترات زمنية مختلفة، وللتعرف على واقع الحياة البدوية نقف على أهم الممارسات الاجتماعية التي يشكل الرعي والترحال أهم محاورها، كما أنهما يمثلان أساس الاقتصاد الذي يقوم عليه المجتمع البدوي والذي يؤثر بدوره في باقي النظم الأخرى المكونة لبنائه الاجتماعي ككل.

الرعـــــــي:

عرف النشاط الرعوي عدة تحولات في المنطقة خلال فترات زمنية مختلفة، ولعل أهمها فترة الاستعمار حيث كان له الأثر الكبير على إعاقة هذا النشاط، وذلك من خلال وضع حدود على مجال مفتوح

طبيعياً (Hadeid mohamed, 2002 :147). وتثبيت البدو الرحل وتقييد تحركاتهم وذلك لتشديد الخناق على المقاومات الشعبية بالمنطقة، والتي كانت تستمد قوتها من المجتمع البدوي، كما أصدر المستعمر إجراءات وقوانين كتطبيق ما عرف بالفلاح الماكر(Dry fermer) (زندري عبد النبي، 2006: 70)، مما أدى إلى توسع الأراضي الزراعية على حساب المناطق الرعوية.

أما مرحلة الاستقلال، فقد أدى تطبيق بعض المخططات التنموية كالثورة الزراعية، والتعاونيات الرعوية، إلى تجمع السكان البدو وبالتالي تركز قطعان الماشية في مراعي ثابتة سبب ضغطاً كبيراً على المراعي بالاستغلال غير العقلاني، مما أدى إلى تناقص الغطاء النباتي والإزدحام على نقاط الماء (التيجاني بشير، 2001: 08)، هذه الوضعية أدت إلى تقلص مجال المراعي بالإضافة إلى تأثير الجفاف خاصة خلال فترة السبعينات.

تواجه مهنة الرعي بالمنطقة كغيرها من المناطق السهبية إشكالية تدهور وتدني الغطاء النباتي، حيث أصبحت المراعي المحلية غير قادرة على توفير الكلأ لقطعان الماشية، والتي تبلغ مساحتها 21.065 هكتار (BADR Elbayad2010). وهذا ما أثر سلبا على تراجع النشاط الرعوي بعدما أضحى الإعتماد على الأعلاف الجاهزة بصفة رئيسية.

جاءت إجابات المبحوثين مؤكدة لهذا الواقع، حيث تم تأكيد كل المبحوثين على تراجع النشاط الرعوي خلال إستجوابهم، حيث أنَّهم يعتمدون بصفة رئيسية على الأعلاف الجاهزة في تغذية الماشية، بعدما كانت تستخدم بصفة ثانوية مكملة للغذاء الرعوي، وبالتالي أصبح للمراعي دور ضئيل لا يكاد يعتمد عليه في تغذية الماشية، وعليه أصبحت هذه المراعي في الآونة الأخيرة تشهد نوعا من التقهقر المستمر نتيجة الزوال التدريجي للغطاء النباتي والتصحر (دريسي،2001:108).

تتمثل أهم عوامل التصحر فيما يلي (Al zerey Wzel, 2009 :09):

النشاط الانساني: يمثل أهم عنصر في القضاء على النباتات السهبية، وذلك من خلال الإستغلال الغير العقلاني والفوضوي بالرعي المركز والمفرط، بالإضافة لعمليات الحرث الغير مسموحة.

الأسباب الطبيعية: والمتمثلة في التغير المناخي الجفاف المتناوب والتصحر الذي تشهده المنطقة منذ السبعينات بالإضافة الزوابع الرملية.

وبالإضافة لهذه الأسباب المباشرة، هناك أسباب أخرى غير مباشرة ساهمت في الزوال التدريجي للغطاء النباتي، كالضغط والتركز الديموغرافي، البطالة والنظام القانوني.

جدول رقم(05): تقسيم الأراضي حسب المساحة المتضررة من التصحر لولاية البيض

الحالة	المساحة (هكتار)	النسبة %
غير أو قليلة التضرر	31.255,71	0.44
متوسطة التضرر	1.144.627,88	15.97
متضررة	3.240.757,76	45.20
متضررة جدا	2.594.871,41	36.19
تصحر	157.714,35	2.20
المجموع	7.169.227,10	100

المصدر: محافظة الغابات لولاية البيض.

التنقل والترحال:

يعتبر الترحال والتنقل أهم مظاهر الحياة البدوية حيث لازم الحياة البدوية منذ القدم، إذ يظهر الترحال كنشاط لجماعات البدو عندما تصبح الموارد في المحيط الطبيعي غير كافية لتلبية حاجات الجماعة

فيضطرون لتنقل بقطعانهم سعيا وراء المناطق التي توفر العشب والماء لماشيتهم عندما لا توفرها مناطقهم الأصلية، وقد ارتبطت الحياة البدوية في منطقة البيض بهذه الحركة وخاصة الترحال الموسمي في الصيف والشتاء والذي يعرف بالعزابة والعشابة، فبحلول فصل الصيف ترتفع درجة الحرارة ويحل الجفاف وهذا مايحتم على البدو ترك المنطقة والتوجه إلى المناطق الشمالية "التل" لتوفير العشب والماء وكذا المناخ المعتدل لقطعان الماشية حيث تعرف هذه الرحلة بـ"العشابة"، أما تلك الرحلة التي تتم في فصل الشتاء نحو الصحراء لتأمين العشب والدفئ فتعرف بـ"العزابة". وللتعرف على ترحال البدويين وما طرأ عليها من تغير نعرض الجدول التالي:

جدول رقم(06): توزيع المبحوثين حسب ممارسة الترحال

ممارسة الترحال	التكرار	النسبة %
يمارسون الترحال	21	35
لا يمارسون الترحال	39	65
المجموع	60	100

المصدر: الدراسة الميدانية

يعرض الجدول نسبة إجابات المبحوثين الخاصة بممارسة الترحال، حيث تبين أنَّ الذين لا يمارسون الترحال يشكلون أعلى نسبة بـ 65% تمثل 39 إجابة وهو الإتجاه العام الذي يشير إليه الجدول، أما المبحوثين الذين أجابوا بممارسة الترحال فتمثلت في 21 إجابة بنسبة 35%، كما تم ارفاق هذه الإجابات بسؤال حول ما طرأ على الترحال من تغير، فاتضح أن أغلبية الإجابات بنسبة 92% أجابت بتراجع وتقلص نشاط الترحال مثلت 55 إجابة، حيث برروا ذلك بتأثير العامل الإيكولوجي المتمثل في الجفاف والذي أفرز معطيات جديدة حيث أصبح الاعتماد الرئيسي على الأعلاف الجاهزة في تغذية المواشي بدل الاعتماد على التغذية الرعوية، بعدما كان استخدام الأعلاف بصفة

ثانوية مكملة للتغذية الرعوية، وأمام هذا الوضع أصبح البدوي غير قادر على تغطية مصاريف الأعلاف خاصة وأن أسعارها مرتفعة بالإضافة لتكاليف النقل، فيضطر لبيع جزء من أغنامه ليوفر تكاليف شراء الأعلاف، وهذا ما أدى إلى تناقص أعداد الماشية بالتدريج، وبالتالي اتضح أن نشاط الترحال يرتبط بأعداد الماشية الممتلكة، حيث أن تراجع الترحال مرده إلى التناقص المستمر في أعداد الماشية التي تأثرت بدورها بتقلص المجال الرعوي بفعل الجفاف، فالذين يملكون رؤوس ماشية معتبرة يضطرون إلى التنقل لتأمين تغذية أغنامهم، أما الذين يملكون أعداد قليلة من الماشية فيكتفون بالاستقرار في منطقتهم، كون التنقل يكلفهم مصاريف كراء وسيلة النقل التي لا يمكن لهم توفيرها.

كما أثر انتشار وسائل النقل في حياة البادية على إنكماش عملية التنقل والترحال (السويدي محمد ،1986: 166) حيث اتخذ البدوي من وسائل النقل مهنة بديلة بعد بيع جزء من ماشيته، وهذا لزوال التدريجي لمهنة الرعي التي تعتبر المصدر الرئيسي للدخل للإقتصاد البدوي حسب حواس الكنز (رأس مال عبد العزيز، 1999: 164).

الموقف من الاستقرار:

إنَّ البداوة منشأها الحاجة إلى السعي وراء الرزق، وأنَّه إذا توفرت موارد الرزق الثابتة للبدوي استقر واستمتع بمميزات الاستقرار من خدمات، تعليمية وصحية وغيرها (عباس ابراهيم، 2008: 81)، وهذا ما لمسناه في مواقف المبحوثين من رغبة كبيرة في الاستقرار والتخلي عن حياة البادية، حيث نجد 48 إجابة بنسبة 80% تمثل موقف التفكير في الاستقرار، أما الذين أبدوا موقفهم بعدم الرغبة في الاستقرار فهي 12 إجابة بنسبة 20 %.

تعكس التجمعات الهامشية لسكان البدو ـ في أطراف المدينة والقرى المجاورة ـ هذا التوجه في الاستقرار، بهدف البحث عن وظيفة جانبية في المدينة لمحاولة إعادة وضع أنفسهم في التسلسل الهرمي الاجتماعي وإعادة تكوين أو تطوير قطيعهم (Riad Bensouiah,2004 :10).

جدول رقم(07): توزيع المبحوثين حسب موقفهم من الاستقرار

الموقف من الاستقرار	التفكير في الاستقرار	عدم التفكير في الاستقرار	المجموع
العدد	48	12	60
النسبة %	80	20	100

المصدر: البحث الميداني

يشير اتجاه الجدول العام إلى التفكير والرغبة في الاستقرار وهذا ما أكدته نسبة 80% من إجابات المبحوثين مقابل نسبة 20% من الإجابات تمثل عدم الرغبة في الاستقرار، وقد برر الذين يرغبون في الاستقرار موقفهم هذا بسبب تدني أوضاعهم الاقتصادية نتيجة لتقلص المراعي وتغير الظروف الايكولوجية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة البدوية، حيث أدى تأثير الجفاف إلى الاعتماد على الأعلاف الجاهزة في تغذية المواشي بصفة رئيسية، حيث تبين من خلال البحث الميداني أن كل مبحوث يعتبر نشاطه الرئيسي هو تربية الأغنام يعتمد بصفة رئيسية على الأعلاف في تغذية الأغنام، ومع غلاء أسعار الأعلاف أصبح البدوي غير قادرا على تغطية مصاريفها، رغم الإعانات التي خصصتها الدولة لفائدة مربي الأغنام بدعم أسعار الأعلاف بنسبة 50%، إلاَّ أنَّ نسبة المستفيدين من هذا الدعم قليلة، حيث تبين من نتائج البحث الميداني أنَّ ما نسبته 66% غير مستفيد وهذا راجع لعدم امتلاك بطاقة موال، بالإضافة إلى أن المراكز التي توزع هذه الأعلاف تقع في مناطق بعيدة عن مناطق إقامتهم، حيث يوجد الديوان الوطني للغذاء الحيواني في مدينة بوقطب التي تبعد 80 كلم عن مدينة البيض، مما يكلف مصاريف كبيرة لنقل الأعلاف، وبالتالي يتجهون لسوق لشرائها

بأثمانها الباهظة، وهكذا يجد البدوي نفسه مرغما للبيع من ماشيته ليوفر مصاريف الأعلاف وهذا ما أدى بالتدريج لتناقص أعداد الماشية التي تعتبر القاعدة الأساسية لاقتصاد البدوي، وبالتالي "الأغنام تأكل بعضها" كما عبر عنها البدوي، مما يؤدي إلى زوال مصدر رزقه، لهذا فهو يرى في الاستقرار بديلاً إقتصادياً قد يمكنه من إيجاد فرصة عمل على حسب إمكانياته وقدراته كسياقة السيارات أو الحراسة وهذا رغبة منه في تحسين مستوى معيشته وهروبا من دائرة الفقر وهذا ما يؤكد أهمية العوامل الإقتصادية في إحداث الحراك الإجتماعي (رأس مال عبد العزيز، 1999: 164). كما اتضح أن مسألة الاحتراف -اتخاذ حرفة- التي كانت تشكل قيمة اجتماعية بدوية باحتقار البدوي للحرفة والمهنة كونها مذلة ومهانة، لم يعد لها وجود وحلت محلها قيم أخرى.

فهذه التغيرات الحاصلة في المجتمع البدوي على المدى الزمني الطويل بتأثير الظروف الإيكولوجية تجعل من انتقال البدو من مرحلة البداوة الخالصة إلى صفة الاستقرار أمرا تطورياً(عباس ابراهيم، 2008، ص.64)، وإذا تكلمنا على الظروف الايكولوجية كقوى طاردة فقد ساهمت أيضا قوى أخرى جاذبة كان أهمها السكن الريفي حيث استفادت بلدية البيض من 1080 مسكن ابتداءاً من سنة 2003 إلى غاية 2010 (الصندوق الوطني للسكن، البيض،2010)، بالإضافة إلى الخدمات الحضرية التي تتوفر عليها المدينة كالتعليم والصحة والتسوق وكذا فرص الشغل.

أمَّا عن الذين أجابوا بعدم رغبتهم في الاستقرار فهم يفضلون حياة البادية ويرون أنَّ الاستقرار لن يوفر لهم فرص عمل ورغم تغير ظروفهم وتناقص مداخليهم إلاَّ أنَّهم يرون أنهم قادرون على مواصلة حياتهم التي ألفوها، ويكتفون فقط من الإقامة قرب المدينة للإستفادة من مختلف خدماتها، وهذا ما تم ملاحظته خلال الدراسة الميدانية حيث تقيم عشر عائلات بدوية بقرب المدينة بمحاذاة حي أولاد يحي الذي يعتبر

من الأحياء الجديدة شمال المدينة، كما تم ملاحظة استقرار بعض الأسر قرب طرق المواصلات للإستفادة من خدمات النقل.

الخاتمة:

أمكن خلال البحث الميداني الوقوف على واقع الحياة البدوية بتناول أهم مظاهر المجتمع البدوي من بنية ديموغرافية ورعي وترحال، حيث اتضح أن تعداد السكان في تراجع مستمر خلال مختلف التعدادات السكانية بالإضافة للمعطيات العشرية الأخيرة 2010-2020، والذي حدث بعامل الاستقرار، فعند التطرق للممارسات الاجتماعية التي يمثل الرعي والترحال أهم محاورها، تبيَّن أنَّها في حالة تراجع مستمر بتأثير العامل الأيكولوجي بتراكم سنوات الجفاف وتقلص مساحات الرعي، مما أدى إلى تعقد النظام الاقتصادي البدوي وتلاشي مصادر الرزق التي تمثل الماشية قاعدته الرئيسية هذه الوضعية أضحت قوة دافعة نحو الاستقرار كبديل لإيجاد مصادر رزق أخرى بديلة أو الإرتحال الطارئ "الاضطراري" الذي يدفع بالجماعة البدوية بتغير مكانها اضطراريا إلى مكان آخر أكثر أمانا، ترحال يتسم كونه نوعي، باعتبار أنَّ التنقل الذي يرتبط بالهجرة هو تنقل نوعي حيث يتم تغيير الوسط الاجتماعي بالانتقال إلى وسط اجتماعي آخر جديد يستوجب عملية تكيف الفرد مع بيئة وثقافة جديدة، وبالتالي لحق تغير بالبنية الاقتصادية(كمظهر مادي) للمجتمع البدوي والذي أثر بدوره على باقي النظم الاجتماعية الاخرى (كمظهر فكري)، كمؤشرات ميدانية لعملية التغير الاجتماعي.

ومن جهة أخرى أسهمت العلاقات البدوية الحضرية على المدى الطويل في اختزال المسافة بين المجتمعين، وخاصة مع دخول وسائل النقل الحديثة حياة البدوي، مما أدى إلى تعزيز وتكثيف هذه العلاقات، فأصبح البدوي أكثر استهلاكا للخدمات الحضرية من ذي قبل كالصحة والتعليم والشغل، بالإضافة لتوافر فرص السكن الريفي مما أسهم في استقطاب نسبة هامة من السكان البدو وتوجيههم نحو الاستقرار.

قائمة المراجع:

- التيجاني، بشير، (2000)، التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- التيجاني، بشير، (2001)، «أقاليم الهضاب العليا»، مجلة جغرافيا و تهيئة، دار الغرب العدد: 08.
- السويدي، محمد، (1986)، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- بوزيد بوحفص وشماني أحمد، «تأثير التصحر على الهوية الفردية والجماعية لسكان السهوب من البدو الرحل دراسة حالة ولاية البيض»، ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الدولي الثاني المجالات الإجتماعية التقليدية والحديثة وإنتاج الهوية الفردية والجماعية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، 26 و27 نوفمبر 2014، ورقلة.
- تللو، غياث، (2002)، «أثر المجالات على تطور توزيع السكان ونموهم في الغرب الجزائري»، ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الوطني المجال والسكان، جامعة وهران: دار الغرب.
- تلي، خديجة، (2006)، دراسة التوسعات العمرانية الحديثة بمدينة استبسية حالة مدينة البيض، مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة وهران، الجزائر.
- خالدي، عبد الحميد، (2007)، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، الجزائر: دار هومة.
- دريسي، الزهراء،(2001)، النشاط الرعوي بمنطقة سهبية بالجنوب الوهراني، حالة المشرية، مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا، جامعة وهران، الجزائر.
- رأس مال، عبد العزيز، (1999)، كيف يتحرك المجتمع، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- زندري، عبد النبي،(2006)، بوادر استيطان البدو التوارق (اموهاغ) في الوسط الحضري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.
- طلحة، بشير، (2006)، البنى التقليدية وعلاقتها بالتقسيم الاجتماعي للمجال الحضري حالة الأغواط، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة الجزائر، الجزائر.
- الفوال، صلاح (1967)، البداوة العربية والتنمية، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.

- مفتاح نادية،(2001)، البدو الرحل كنمط اجتماعي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.
- نعسو، حسين،(2010)، التغير الديمغرافي والاستيطان، https://pydrojava.org

Barth,f,(1960) ,le nomadisme dans les montagnes et sur les hauts plateaux de laies du sud, Colloque international sur les problèmes de la zone aride, UNESCO. Paris

- D.P.A.T.,(2009) , Monographie de la Wilaya d'El Bayadh, El Bayadh.
- Fiche technique agricole,(2010) Agence du rayon d'exploitation, Agence BADR Elbayad.
- Riad Bensouiah,(2004), Pasteurs et agro-pasteurs de la steppe algérienne, Strates,N011. https://journals.openedition.org.
- Sagne Jean,(1950), L'algerien pastoral,ses origines, sa formation son passé, son present, son avenir.
- Al zerey,Wzel,(2009),« L'écosysteme steppique face à la désertification : cas de la région 'El Bayadh», vertigo. La révue éléctronique en siences de l'environement.N°02. Algerie.
- Hadeid Mohamed.(2002), La population des hautes plaines sud-Oranaises: Evolution et repercussions sur L'espace steppique. Colloque national sur « espace et population »,Université d'Oran,Dar El Gharb.
- Mohamed Boukhobza,(1982) .L'agropastoralisme traditionnel en Algérie de l'ordre tribal au désordre colonial, Alger : OPU.
- Yazid Ben Hounet,(2009), Le poids du nomadisme pastoral dans les steppes algériennes, rvue études rurales, n184. 2009.